سلسلة مطويات شبكة بينونة

فوائد قرآنية ١٦

مكانة الدعاء الوارد في سورة الفاتحة

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدعاء عبادة جليلة، هي عنوان تجريد التوحيد لله تعالى، وعلامة الخضوع والتواضع له جَلَّ وَعَلَا، مَن أتى بها؛ انشرح صدرُه، وانكشف كربُه، وزالت شدَّتُه، وحصلت له لذة الطاعة وحلاوة المناجاة لله تعالى، فلذا كان الحرص عليها وملازمتها سمة أنبياء الله، من هنا أَوْلتها النصوص اهتماماً بالغاً، وعناية فائقة، وذلك من خلال تعداد فضائلها، وبيان أحكامها.

وبما أننا في شهر القرآن فسيكون الحديث عن الدعاء الوارد في أم القرآن وهي (سورة الفاتحة) التي هي أعظم سورة في القرآن.

قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

هذا الدعاء من أعظم الأدعية وأجلِّها وأنفعها وأفضلها؛ وذلك لتعلّقه بأعلى المطالب وأشرفها وهو: الهداية إلى الصراط المستقيم.

والناس أحوج ما يكونون إلى هذا الدعاء؛ وذلك لتضمنه مصالح الدنيا والآخرة، فهو يتضمن العلم بالمسائل النافعة، والتوفيق للعمل بها، والعون عليها.

وإذا أجاب الله للعبد طِلْبته، وحقَّق له سُؤْله، ووفَّقه للصراط المستقيم؛ كفاه الله الشرور والأضرار، وحماه من المخاوف والآفات، وأصلح له عمله، وانضبط علم المرء -بإذن الله-، وسَلِمَ من الغواية والهوى، وتحقَّقت له السلامة من الحيرة، وتمَّ له البُعد عن سبل الجهل وطرق الضلال.

والصراط المستقيم الذي دلَّنا الله على سؤاله إياه هو: دينه الذي بعث به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، القائم على تصديق

الأخبار الغيبية والإيمان بها، وعلى فِعْل ما أمر الله تعالى، وتَرْك ما نهى عنه.

وهذا الصراط هو الذي وصَّانا باتِّباعه ونهانا عن مفارقته بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخطَّ خطّاً، وخطَّ خطَّيْن عن يمينه، وخطَّ خطَّيْن عن يساره، ثم وضع يده في الخطِّ الأوسط، فقال: «هذا سبيل الله»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[(١)].

ومما يبيِّن لنا المعنى المتقدِّم للصراط ما جاء من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جَنَبتَي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتَّحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعاً، ولا تتعرَّجوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: وَيْحك لا تَفْتَحْه، فإنك إن تَفْتَحْه تلِجْه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتَّحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»[(٢)].

فعلى العاقل أن يتأمل هذا المثل الذي جلَّى الله من خلاله حقيقة الصراط المستقيم، وأن يعرف قدره، ويتدبره حق تدبره، ويزن به نفسه وينظر أين هو منه؟!

وليتأمل القارئ وهو يقرأ سورة الفاتحة فسيجد أن سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم جاء عقب الثناء على الله تعالى

(١) رواه ابن ماجه (١١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١١).
(٢) رواه أحمد (١٧٦٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغيروزيادته (٣٨٨٧).

وتعظيمه بما هو أهله، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٢-٦].

وإنَّ مما يساعد على فهم هذا الدعاء، ويُعين على الانتفاع به، ما جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «قال الله تعالى: قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مجَّدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[٣].

فقفْ -يا قارئ القرآن- على رأس كل آية وأنت تقرأ سورة الفاتحة، واستشعر مناجاتك لله، وماذا يقول لك الباري جَلَّ وَعَلَا ويردُّ عليك عقب كل آية تتلوها؟ فإنَّ هذا يؤدي إلى صلاح القلب واستقامة الجوارح.

إنَّ شأن الهداية عظيم وأمرها جليل، لذا فإنَّ طلبها والاستعاذة بالله من ضدها أخذ نصيباً كبيراً من أدعية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مواطن عامة وخاصة كما في دعاء القنوت، وعند الخروج من المنزل وغيرذلك.

فحريٌّ بالمسلم أن يفقه أدعية القرآن وعلى رأسها الدعاء الوارد في سورة الفاتحة، وأن يعي أدعية نبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويفقهها؛ فإنَّ ذلك من أمارات التوفيق ودلائل الخير، والحمد لله رب العالمين.

(٣) رواه مسلم (٣٩٥).